مبحث الجملة عند سيبويه

المدرس الدكتور
حسين مزهر السعد
جامعة البصرة – مركز دراسات البصرة

المقدمـــــة :

احتلت الجملة مكانة متميزة في أذهان أئمة النحو القدامى، ولكنها لم تنزل إلى ارض الواقع مصطلحا" له حدوده وسماته وأقسامه إلا عند المتأخرين منهم ، فقد كانت محض أفكار وأشرات تطوف في فضاء الجملة وتدور في فلكها توزعت في أبواب عدة من أبواب النحو التي طرقوها في مؤلفاتهم حتى عدت فيما بعد اللبنات الأولى التي مهدت وأسست لنشوء الجملة وخصوصا" عند أمام النحاة (سيبويه) .

إذ كان له الدور البارز والفضل الكبير في التأصيل والتأسيس لمبحث الجملة في النحو العربي من خلال العديد من الآراء والملاحظات التي توزّعت في أبواب عدّة من (الكتاب)تلك الآراء التي توارثها النحاة من بعده جيلاً عن جيل وأشبعوها بحثاً وشرحاً وتفصيلاً حتى بلغ ذلك المبحث أوج مراحل تطوره واتضاحه عند ابن هشام–أحد أبرز علماء النحو البصري المتأخرين– .

وفي هذا البحث المتواضع سنحاول تسليط الضوء على أهم تلك الآراء التي ذكرها(سيبويه)في كتابه وتوزيعها على محاور عدّة لنستجلي من مجموعها ذلك الجهد الكبير الذي بذله ذلك العالم الجليل في خدمة العربية ولغتها ثمّ بعد ذلك سنعرّج –بشئ من الإيجاز–على بعض الإشارات والجهود التي بذلت في إبراز ملامح الجملة وتطورها عند علماء النحو البصريين الذين جاءوا بعد سيبويه لنتتبع المراحل والأطوار التي مرّ بها هذا المبحث في تطوّره وارتقائه حتى بلغ ما بلغ من الوضوح والاستقرار . ولقد اخترنا منهم ثلاثة كان لهم الفضل الكبيرفي هذا المجال وهم (أبو علي الفارسي وابو الفتح عثمان بن جني وابن هشام الأنصاري) ودورهم في استكمال الطريق التي عبدها لهم أستاذهم الكبير سيبويه) في توطيد أركان الجملة وتثبيت أسسها .

الجملة عند سيبويه:

تعدّ آراء سيبويه تلك التي ذكرها في كتابه (الكتاب) البذور الأولى واللبنات الأساسية للتأصيل والتأسيس لمبحث الجملة ، تلك الآراء التي توارثها النحاة من بعده جيلا" عن جيل وأشبعوها بحثا" وتفصيلا" حتى بلغ ذلك المبحث أوجّ مراحل تطوره واتضاحه عند ابن هشام – كما استعرضناه في التمهيد–.

إذن فسيبويه كان له الدور الكبير في التنظير والتأسيس للجملة في النحو العربي من خلال العديد من الملاحظات والإشارات التي توزعت في أبواب عدة من (الكتاب) ، وفي هذا البحث المتواضع سنسلط الضوء على أهم تلك الآراء محاولين توزيعها على محاور عدة لنستجلي من مجموعها ذلك الجهد الكبير الذي بذله ذلك العالم الجليل في خدمة العربية ولغتها.

المحور الأول

قبل ان يشرع سيبويه بتحديد اركان الجملة بدأ بذكر اجزاء التركيب ومكونات وعناصر الجملة فعقد بابا" اسماه (باب علم ما الكلم من العربية) قسم فيه الكلام العربي ثلاثة أقسام (اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل) ثم بين كل قسم ودوره في التركيب والعلاقة فيما بين تلك الأجزاء التي تكون التركيب (الجملة) ومايطرأ على أواخر الكلمة من أعراب بأثر من العوامل وحالات البناء ، ثم بين المعرب والمبني من الأسماء والأفعال وعلامات الإعراب والبناء ، وهذا كله يدخل في دراسة أجزاء التركيب أو العناصر التي تتألف منها الجملة.[١]

المحور الثاني : تحديد أركان الجملة :

لعل من أهم مباحث الجملة عند سيبويه هو تحديده أركانها الأساسية فكان هذا الأمر محل عنايته لأنه يمثل الخطوة الأولى لبناء الجملة ورسم هيكلها ، ولقد أكد سيبويه على ذلك الأمر وعدّه من الأسس الأولى فعقد له بابا" اسماه (باب المسند والمسند إليه) وهما في نظره الركنان الأساسيان اللذان تبنى منهما الجملة العربية ولابدّ من تواجدهما معا" لقيام الجملة وإلا فلا تصح بأحدهما دون الآخر كما يقول " وهما لا يغني واحد منهما عن الآخر ولايجد المتكلم فيه بدا"..."[٢] وهو بهذا النص يحدد مبدأ (الاسناد) شرطا" لبناء

الجملة ، إذن فالمسند والمسند إليه هما ركنا الجملة وبوجودهما معا" توجد الجملة ، وعلى هذا الأساس سار معظم النحاة بعد سيبويه حتى اذا ما جئنا للمحدثين نراهم يتحفظون من هذا الأمر الذي أصبح قانونا" لدا النحاة القدامى ولايمكن الحياد عنه ، الأمر الذي جعل الدارسين المحدثين ينفرون من هذا التقييد الذي يرونه لا يتلاءم مع طبيعة اللغة وغير شامل لكل الجمل، فهناك جمل تخلو من احد هذين الركنين ومع هذا فهي قائمة بحد ذاتها وقد اصطلح على تسميتها جملا" لذلك فقد رفض قسم منهم مبدأ الإسناد أمثال الدكتور محمد عيد الذي يقول : " فالجملة حقيقة هي التي تؤدي الفائدة كاملة أما تكوينها الشكلي فلا يشترط فيه أن يوجد في النطق مسند ومسند إليه بل تتحقق الفائدة كاملة بوجودهما (وقد تتحقق بكلمة واحدة) إذا أدت المعنى المفيد "[٣] والى هذا يذهب الدكتور إبراهيم أنيس الذي يرى أن تقسيم سيبويه هذا إنما جاء بسبب تأثر النحو العربي بالمنطق في مرحلة مبكرة من نشأته ، ففي المنطق تتكون الجملة من موضوع ومحمول وفي النحو من مسند ومسند إليه ولهذا جعل الدكتور إبراهيم أنيس المقياس في قيام الجملة هو دلالتها على معنى مستقل ، وهذا المعنى يحدده الاستعمال وليس تحديد القدماء بالمسند والمسند إليه ، إذ قد يستبعد الاستعمال احدهما وينفي الآخر مع إفادة المعنى ، فالعادات اللغوية لكل بيئة هي التي تحدد أركان الجملة[٤] .

وعلى العكس من ذلك يرى آخرون أمثال الدكتور مهدي المخزومي والمستشرق برجشتراسر أن الإسناد شرط أساسي لقيام الجملة يقول الدكتور المخزومي : " لأنّ الجملة إنما تقوم على أساس من إسناد يؤدي إلى إحداث فكرة تامة "[٥].

ويقول المستشرق برجشتراسر : " الجملة مركبة من مسند ومسند إليه فأن كان كلاهما اسما" أو بمنزلة الاسم فالجملة اسمية وان كان المسند فعلا" أو بمنزلة الفعل فالجملة فعلية. "[٦].

ولقد أدى هذا المبدأ (أي الاسناد) الذي أقره سيبويه وتابعه عليه النحاة من بعده إلى نشوء نظرية العامل في النحو العربي تلك النظرية التي تقوم على التقدير الذي يؤكده حذف ركني الجملة (المسند والمسند إليه) وبالتالي لابد من تقدير المحذوف لكي تقوم الجملة وإلا اختلّ بناؤها ومن هنا بدأت التعقيدات في النحو العربي وبدأت التأويلات تكثر بين علماء النحو في تقديرهم للعامل حتى دخل النحو في تعقيد ممل دفع الكثير من

المتعلمين إلى النفور من النحو وحتى جاءت ثورة ابن مضاء على نظرية العامل حاكية عن ذلك النفور فكانت الشرارة الأولى لمن جاء بعده في إنكار نظرية العامل والدعوة إلى رفضها فأنسحب ذلك على ركني الجملة (المسند والمسند إليه) وفكرة وجوب تواجدهما معا" ولابد للمبتدأ من خبر أو للفعل من فاعل الذي أقره سيبويه بقوله : " فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الاول بد من الآخر في الابتداء " [٧] فـ(اللابدية) تلك هي التي ولدت التقدير وخلقت التأويل في النحو العربي الذي بات محل جدل ونقاش طويل بين العلماء والنحاة ورفض واستهجان لدا الدارسين المحدثين.

المحور الثالث (تقسيم الجملة)

أما تقسيمه للجملة العربية فيمكننا أن نستشفه من خلال كلامه السابق حول الاسناد إذ أنه مثل للجملة وركنيها الأساسيين (المسند والمسند إليه) بنوعين من الجمل فقال: " فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه(أي الخبر) وهو قولك عبد الله أخوك وهذا أخوك ومثل ذلك يذهب عبد الله " [٨]فمن أمثلته يمكن القول انه قسّم الجملة إلى اسمية وفعلية ، فذكر الجملة الاسمية بمثاله الأول والثاني وهو (عبد الله أخوك)و(هذا أخوك)والجملة الفعلية بمثاله الثالث وهو قوله (يذهب عبد الله) وكأنه أراد الإشارة إلى أن الجملة تقسم إلى (الاسمية والفعلية) وقد أكّد هذا التقسيم بعد هذا النص بقوله: " فلا بد للفعل من الاسم (إشارة للجملة الفعلية) كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء " [٩] (إشارة إلى الجملة الاسمية) . وقد سار على هذا التقسيم كل من جاء بعد سيبويه من النحاة مع إضافة بعض الجمل كالجملة الظرفية مثلا" . أما المحدثون فقد وافقوا القدماء على ذلك التقسيم من حيث النوعية وأضافوا له جملا" أخرى ، ولكنهم عارضوه من حيث الكيفية التي بها قسم النحاة الجمل إلى (اسمية وفعلية) وبتعبير آخر انهم عارضوا النحاة القدماء في فهمهم للجملة الاسمية والفعلية والتمييز بينهما ، فالمعروف عند القدماء ان الاسمية هي ما ابتدأت بأسم ، والفعلية هي ماابتدأت بفعل ، ثم طورها ابن هشام فأدخل (صدر الجملة) مقياسا" لمعرفة نوع الجملة فتسمى بحسب ماتصدرها من فعل أو اسم او حتى ظرف ومجرور ولم يكتف بهذا بل قال إن صدر الجملة هو ماكان في الأصل أيضا" أي أنه يرجع الجملة إلى أصلها ليعرف ترتيبها في الأصل وما هو صدرها ، فكان مدعاة

للنقد والاستهجان لدا الدراسين المحدثين وخصوصا" عند الدكتور مهدي المخزومي الـذي عارض كلام ابن هشام محاولا" تصحيح أخطائه – كما يراها– ومحاولا" أيضـا" وضـع كيفية جديدة لمعرفة الجمل من خلال تحديده للجملة الفعلية بقوله: " هي الجملة التي يـدلّ فيها المسند على التجدد أو التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافا" متجددا" ، وبعبارة أوضح هي التي يكون فيها المسند فعلا" "(١٠) ، وتحديده للجملة الاسمية بقولـه: " هـي التي يدلّ فيها المسند على الدوام والثبوت أو التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافا" ثابتا" غير متجدد أو بعبارة أوضح : هي التي يكون فيها المسند اسـما" "(١١) وعارضـه أيضا" في تقسيمه للجملة إلى (الظرفية) وعدها قسما" ثالثا"من أقسام الجملة ، موضـحا" أنها حينما تؤول تصبح إما اسمية أو فعلية بحسب تقدير المتعلق(١٢) وانكر عليـه أيضـا" عدّه جملة النداء جملة فعلية لأن اصل صدرها فـعل إذ تـقديرجملة (ياعبـد الله) – حسب رأي ابن هشام – هو (أدعو عبد الله) لذا فهي فعلية أما عند الدكتورالمخزومي فإن أسلوب النداء " ليس جملة فعلية ولا جملة غير اسنادية ، وإنما هو مركب لفظي بمنزلـة أسماء الأصوات ، يستخدم لإبلاغ المنادى حاجة أو لدعوته إلى إغاثة أو نصرة أو نحـو ذلك "(١٣) .

ومع هذا فلم يسلم الدكتور المخزومي من النقد ايضا" وخصوصا" بتعريفه للجملة الفعليـة التي يدل فيها المسند على التجدد فوصفه الفعل بالتجدد تعميم غيـر دقيـق ، لأن الفعـل المضارع وحده الذي يدل على التجدد – كما يرى الدكتور ابراهيم السامرائي – وإلا فما التجدد في مثل قولنا : مات محمد وهلك خالد (١٤) وتتبع الـدكتور محمـد حماسـة آراء الدكتور المخزومي وخرج بخلاصة مؤداها أنه " كان يعتمد على أساس ما ثم ينقضـه إذا لم يطّرد له في غيره ، وقد اسرف في رمي النحاة بالخلط والجهل والإفساد وأسرف فـي نقدهم دون أن يقدم البديل في كثير من الحالات وكان الا شبه به ان يحترم لهـم وجهـة نظرهم وألا يأخذهم بما أخذهم به من عنف وقسوة ، مع انه لم يخرج عنهم فـي كثيـر ، اللهم الا ما سماه (مركبا" لفظيا") وقف به في مرحلة عير محددة فلا هو جملة اسـنادية ولا هو جملة غير اسنادية ، ولاهو استقصى كل هذه النماذج وصنفها بحيث يستقيم له ما يريد "(١٥).

ونجد باحثا" آخر هو الدكتور عبد الرحمن أيوب يأتي بتقسيم جديد يخالف فيه الاقدمين . وهذا التقسيم يعتمد (الاسناد وعدمه) أساسا" في تقسيم الجملة فهي عنده نوعان: اسنادية وغير اسنادية ، تضم الاسناديةالجمل الاسميةوالفعلية؛ أماغيرالاسنادية فتضم جمل النداء والمدح والذم التعجب [١٦]. ووافقه على تقسيمه هذا الدكتور إبراهيم السامرائي ولكنه أضاف"كان الأدق أن يقال(على الجمل غيرالاسنادية) انهاجمل فعلية " [١٧] فلا ينفي أن تكون غير الاسنادية جملا" فعلية . وقد رأينا في آراء الدكتور المخزومي إنكارا" واضحا" لهذا التقسيم لأنه يرى أنّ قوام الجملة هو الاسناد ، كما انه يرى النداء مركبا" لفظيا" وليس بجملة فعلية ولا غير اسنادية – كما يرى الدكتور عبد الرحمن أيوب– .

وأخيرا" نذكر محاولة الدكتور محمد حماسة الذي دعى إلى إعادة النظر في تقسيم الجملة فقدم تقسيما" جديدا" للجملة معتمدا" مبدأ (الإسناد وعدمه) أيضا" في التقسيم – كما هوعند الدكتور عبد الرحمن أيوب – ولكنه جاء بتقسيم ثلاثي فكانت الجملة التامة الاسنادية التي ضمت الاسمية والفعلية والوصفية والجملة الموجزة والثالثة هي الجملة غير الاسنادية مفصلا" القول في كل قسم وما يندرج تحته من أنواع[١٨]

المحور الرابع : (تحديد معنى الجملة)

بعد ان فرغ سيبويه من الحديث عن أجزاء الجملة ومكوناتها ، وتحديد أركانها الأساسية وهيكلها البنائي العام اتجه أخيرا" إلى تحديد معنى الجملة ودلالتها وما يمكن أن يؤديه من وظيفة ، فعقد لهذا الامر بابا" آخر في كتابه اسماه (باب الاستقامة من الكلام والإحالة) [١٩] .

قسم فيه الكلام (الذي يعني به الجملة) إلى خمسة أقسام بحسب استقامة المعنى واحالته هي:

١- مستقيم حسن نحو: أتيتك أمس وسآتيك غدا.
٢- المحال نحو: أتيتك غدا" وسآتيك أمس.
٣- المستقيم الكذب نحو :حملت الجبل وشربت ماء البحر.
٤- المستقيم القبيح نحو: قد زيدا رأيت .
٥- المحال الكذب نحو: سوف اشرب ماء البحر أمس.[٢٠].

وهو بهذا الباب يكون قد أكمل الركائز الأساسية لقيام الجملة العربية إذ لايكفي– برأيه –في قيام الجملة بناؤها الشكلي من حيث وجود التركيب وعناصره وعلاقة الإسناد التي تربطهما ، بل لابد أن يكون التركيب ذا معنى مفيد فائدة تطابق العقل والواقع وبتعبير أدق : أن تكون الجملة مقبولة عقلا" وواقعا" شكلا" وضمونا" ، وكأنه في هذا الباب يريد التنويه على أن الشكل وحده غير قادر على إنشاء الجمل ، وبعبارة أخرى : ان علم النحو وحده والمعرفة بمكونات التركيب لا تكفي لأنشاء جمل مفيدة ان لم تحمل تلك الجمل معاني مستقيمة حسنة ، وهي الفكرة نفسها التي طرحها عالم اللغة الغربي (نعوم جومسكي) حينما عرض نظريته حول تشكل الكلام التي تدعى بالنظرية التوليدية التحويلية ، فقد كان يرى ان النحو الموجود في البنية العميقة هو الأساس في توليد الجمل وإعطائها الدلالة – وهي المرحلة الأخيرة في تكوين الجمل التي ستظهر بعدها على البنية السطحية. ولكنه أدرك بعد ذلك أنه بالامكان إنشاء جمل صحيحة نحويا" ولكنها خاطئة دلاليا" ، فأيقن ان النحو ليس هو الأساس في تكوين الجمل فأضاف (المكون الدلالي) الى البنية العميقة وجعله الخطوة النهائية والأساس في اكتمال الجملة لأنه يعطي للجملة المعنى او الدلالة [٢١] . وهذا هو عينه ما قصده وعناه سيبويه حينما عقد باب الاستقامة والإحالة وبيّن أهمية المعنى في قوام الجملة ، فأكّد من خلاله على أهمية المعنى وأنه لابد من مراعاته في حال بناء الجملة لتكون ذات فائدة تؤدي بمؤداها الغرض المرجو من إنشائها . وهو بهذا المحور يكون قد انتهى من وضع الأركان الأساسية في بناء الجملة شكلا" ومضمونا" بدأه بأجزاء التركيب وعلاقاتها مع بعضها ثم القالب الذي تتشكل فيه تلك الاجزاء والرابط الذي يربطها معا" وهو (الاسناد) ثم قسّمها قسمين(اسمية وفعلية) وأخيرا" انتهى بالمضمون والمعنى الذي يجب ان تحمله ومطابقته للعقل والواقع فيصبح مستقيما" حسنا".

الجملة ومراحل تطورها (عند النحاة البصريتن)

أولا: (أبو علي الفارسي) أورد أبو علي الفارسي في كتابه (المسائل العسكريات) إشارات عدة فيما يخص مبحث الجملة نذكر منها:

*- أنه بدأ بدراسة أجزاء التركيب – على غرار سيبويه- ببث ما الكلم ثم أقسام الكلام واصل الكلام وعرف كل قسم من تلك الأقسام ودرس أواخر الكلمة وما يطرأ عليها من علامات إعرابية معولا" بعد ذلك على أمور تتعلق بأجزاء التركيب من مثل إشارته إلى الدلالة الزمنية للفعل حينما يقترن ببعض الحروف (والفعل أحد أجزاء الجملة) ، كما أشار أيضا" إلى الحرف (وهو أيضا" من أجزاء الجملة وأحد مكوناتها) ذاكرا" أن الحرف ليس له معنى في ذاته إنما في غيره ولهذا لا يكون خبرا" نحو : زيد حتى وعمرو لعل [٢٢].

- وبعد الانتهاء من دراسة هذه الأجزاء التي تتكون منها الجملة عقد بابا" لائتلاف هذه الأقسام الثلاثة (الاسم والفعل والحرف) " فما ائتلف منها كان كلاما" مستقلا" وهو الذي يسميه أهل العربية الجملة "[٢٣]وفي هذا النص إشارة واضحة إلى تعريف الجملة التي ذكرها باسمها وقرنها ب(الكلام المستقل)بعد أن مهد لها بمصطلح (الائتلاف) مما يبين مدى التطور الذي رأيناه على ذلك المبحث حتى بدأ يظهر ويتضح شيئا فشيئا. هذا فضلا" عن إشاراته في العلاقة القائمة بين أجزاء الجملة (التركيب) وكيف يدخل بعضها على بعض وامتناع بعضها الآخر واختصاص بعضها . محاولة منه تحديد العلاقة بين عناصر الجملة ومكوناتها.
- ومن إشاراته عدّه لأسلوب النداء احد أنواع الجمل – وهو مدار جدل ونقاش عند المحدثين – معللا" إياه بأنه مكوّن من اسم وحرف وان الفعل هو المراد أي ان تقديرالكلام يكون بالفعل ف(يازيد) تقديرها أدعو زيدا ، ولكي لا يذهب معنى النداء ويتحول إلى أسلوب خبري يحتمل الصدق والكذب امتنع ظهور الفعل. [٢٤]
- ومن إشاراته أيضا" ذكره لما يحدث في الجملة من حذف لبعض عناصرها ومكوناتها مثل حذف الفعل في نحو : رأسك والسيف ، وشرا" ونفسك. كذلك ذكره للترابط القائم بين جملة الشرط وجوابها والقسم وجوابها وانهما لا يكونان كلاما" إلا بوجود الجملة والجواب ولا يقتصر على أحداهما ، وهو بهذا يؤكد على الترابط السببي المنطقي بين الجملتين فلا تعد احداهما جملة حتى تكتمل بالجواب لتحقق الفائدة في إتمام المعنى . وأخيرا" أشار إلى معاني الجمل وما

يمكن أن تحتمله الجملة من معان مجازية كأن تخرج الجملة من الخبر إلى الإنشاء مجازا" [٢٥].

ثانيا" (ابن جني) : أما ابن جني فتتركز إشاراته حول موضوع الجملة في كتابه (الخصائص)

- وأهم شيء وأوله عنده ذكره لمفهوم الجملة وتحديده لها من خلال تعريفه للكلام والقول والتفريق بينهما بقوله : " فأما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه وهو الذي يسميه النحويون بالجمل نحو زيد أخوك وقام ممد وضرب سعيد وفي الدار أبوك وصه ومه ورويد ، وحاء وعاء في الأصوات ... فكل لفظ استقل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام " [٢٦] .

أما تعريفه للقول وفرقه عن الكلام فيحدده بقوله :" وأما القول فأصله انه كل لفظ مذل به اللسان تاما" كان أو ناقصا" فالتام هو المفيد ، اعني الجملة وما كان في معناها من نحو صه وإيه وان وكان أخوك ... فكل كلام قول وليس كل قول كلاما " [٢٧] .

إذن فالجلمة عند ابن جني هي الكلام والقول التام ، أما القول الناقص فليس بجملة لأنه غير مستقل بنفسه ولا مفيد لمعناه ، وبهذا يكون ابن جني قد خطى خطوات كبيرة نحو تأصيل مصطلح الجملة وإبراز ملامحه حينما حدّه بهذا التعريف.

- أما إشاراته الأخرى في هذا المجال فنجدها في الجزء الثاني من (الخصائص) في باب (شجاعة العربية) بيّن فيه خصائص التركيب ومايطرأ عليه من تغيرات كالحذف والزيادة والتقديم والتأخير وغيرها[٢٨]
- ومن إشاراته الأخرى أيضا" انه يرى أن الجمل التي تقع خبرا" أو حالا" أو نعتا" أو جملة الصلة والإضافة إنما هي تراكيب متممة للمعنى وليست لها معنى مستقل وبالتالي فلا يمكن أن نعدّها جملا" مستقلة ، ولهذا أطلق على هذا النوع من الجمل والذي يتكون من أكثر من جملة بـ(الجمل الكبيرة)[٢٩].

ثالثا": ابن هشام الأنصاري:

وعند ابن هشام تتجلى ملامح المصطلح بشكل أكثر استقرارا" وأرقى تطورا" من سابقيه حينما بحث الجملة بحثا" وافيا في كتابه (مغني اللبيب) ، وقد بدأ أولا" بتحديد الجملة بقوله (وهو يعني بها الكلام) : " هو القول المفيد بالقصد ، والمراد بالمفيد : مادلّ على معنى يحسن السكوت عليه.."(٣٠) .

ولكنه ليس أي كلام بل الكلام المفيد بالقصد وكأنه يريد الإشارة إلى أن الجملة أعمّ من الكلام لأنه مقتصر على الإفادة ، أما الجملة فقد لاتكون مفيدة كما في جمل الشرط والجواب والصلة وهذا أول اختلاف نلمحه عن سابقيه . فبعد أن كان الكلام هو الجملة عن أبي علي الفارسي وابن جني ، أصبح عند ابن هشام جزءا" من الجملة لا أنه يقابلها . ونلاحظ أيضا انه جمع بين الكلام والقول في تعريفه بعد أن كان الكلام يختلف عن القول عند ابن جني .

- بعد هذا قسّم الجملة ثلاثة أقسام هي (الاسمية ، والفعلية، والظرفية) وقد اعتمد في تقسيمه هذا على صدر الجملة ، فان كانت مصدرة باسم كانت اسمية ، وإن تصدرت بفعل كانت فعلية ، وإن تصدرت بظرف أو مجرور كانت ظرفية ، وعنده أن صدر الجملة (المسند والمسند إليه) و لاعبرة بما تقدم عليها من الحروف ، والمعتبر عنده ما هو صدر في الأصل ، فجملة النداء مثلا"(يا عبد الله) عنده جملة فعلية لأن صدرها في الأصل فعل إذ التقدير أدعو عبد الله (٣١)
- وقسم الجملة أيضا" إلى (صغرى وكبرى) ، فأما الكبرى فهي الاسمية التي خبرها جملة نحو (زيد أبوه قائم) والصغرى هي المبنية على المبتدأ كالجملة المخبر بها في (أبوه قائم) ، وقد تتكون بعض الجمل من جملتين كبرى وجملتين صغرى نحو (زيد أبوه غلامه منطلق).

كما قسّم الجملة الكبرى إلى ذات وجه وذات وجهين ، فذات الوجه هي الجملة الاسمية الصدر والعجز أو فعليتهما أما ذات الوجهين فما كان اسمها صدرا" وفعلها عجزا"(٣٢).

- وأخيرا" يبيّن الجمل التي ليست لها محل من الإعراب ويعدّها سبعة أنواع هي (الابتدائية والاعتراضية والتفسيرية ، وجملة جواب القسم ، وجواب الشرط ،

وجلة الصلة ، والجملة التابعة لما لا محل له) [٣٣] . هذا موجز مقتضب عن مراحل تطور مبحث الجملة عند النحاة البصريين بعد سيبويه من الذين انتهجوا نهجه وساروا على خطاه ، وقد كان لهؤلاء الثلاثة الفضل الكبير في إبراز ملامح مصطلح الجملة حتى بلغت أوجّ ازدهارها.

نتائج البحث:

تبين لنا من خلال هذا العرض المتواضع لأهم الاشارات التي ذكرها سيبويه فيما يتعلق بمبحث الجملة – أنه كان المنظر والواضع للبنات الاولى في بناء الجملة العربية، وأنه كان بصدد التأهيل والتأسيس لهذا المصطلح ، الذي ظهرت ملامحه بشكل واضح عند من سار على خطاه ممن جاء بعده من النحويين البصريين وأهمهم ابن هشام.

كما تبين ايضا"– وفي ضوء المحاور التي توزعت فيها آراؤه او أبوابه– أنه كان يلمّح لصياغة تعريف يخصّ الجملة ويحدّها ، يمكننا أن نستشفّه من إشاراته التي ذكرها في تلك الأبواب حينما نقارنها مع التعريف الحديث للجملة الذي وضعه الدكتور إبراهيم أنيس ، وتبنّاه الدكتور المخزومي ايضا" وهو (أقلّ قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا")[٣٤] فالقدر القليل من الكلام هو ما حاول سيبويه أن يشير إليه حينما عالج أجزاء التركيب في أول باب وضعه في كتابه وهو باب (علم ما الكلم من العربية) ، أما (إفادة السامع معنى مستقلا") فيعني أن تكون الجملة ذات معنى مفيد فائدة

(يحسن السكوت عليها) بتعبير القدماء ، وهذا الأمر أكّده سيبويه في باب (استقامة الكلام وأحالته)وبيّن فيه أن الجملة لابد أن تستقيم دلاليا" لتكون ذات فائدة ولهذا وصفها بـ(الحسنة) التي يكون معناها تاما" (يفيد السامع معنى مستقلا") بتعبير المحدثين ، وبهذا يكون سيبويه قد عرّف الجملة– تلميحا" لا تصريحا" – تعريفا" مطابقا" للتعريف الحديث . ويكون بهذا قد جزّأ الجملة ثم وضع أسسها وحدّها ثم قسّمها وأخيرا" وضع وظيفتها . وهذا ما بيّناه في هذا البحث.

هوامش البحث

١. ينظر : الكتاب ١٢/١ ومابعدها.
٢. الكتاب ٢٣/١.
٣. أصول النحو العربي : ٢٧١-٢١٨.
٤. ينظر : من أسرار اللغة.:٢٥٩-٢٦٠
٥. في النحو العربي نقد وتوجيه: ٥٣.
٦. التطور النحوي : ٨١.
٧. الكتاب ٢٣/١.
٨. الكتاب ٢٣/١.
٩. المصدر نفسه ٢٣/١.
١٠. في النحو العربي نقد وتوجيه : ٤١.
١١. المصدر نفسه: ٤٢.
١٢. المصدر نفسه: ٥١-٥٢.
١٣. النحو العربي نقد وتوجيه: ٣١١.
١٤. ينظر : الفعل زمانه وابنيته: ٢٠٤
١٥. العلامة الاعرابية :٥٧..
١٦. ينظر : دراسات نقدية في النحو العربي ١٢٩/١.
١٧. الفعل زمانه وأبنيته : ٢١١.
١٨. ينظر : العلامة الاعرابية : ٧٨-١١٠.
١٩. الكتاب ٢٥/١.
٢٠. ينظر : المصدر نفسه ٢٥/١-٢٦.
٢١. (تجسد هذا التعديل في كتابه (ظواهر من نظرية النحو) وفي اعماله الاخيرة التي ضمت ما اسماه النظرية القياسية الموسعة) نقلا" من كتاب منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري ، د. قاسم البريسم : ٢٢.
٢٢. ينظر : المسائل العسكريات : ٧٠-٨١.
٢٣. المصدر نفسه : ٨٣.
٢٤. ينظر : المسائل العسكريات: ٨٧.
٢٥. ينظر : ينظر : المسائل العسكريات: ٨٧.، ٩٥.

٢٦. الخصائص ١٨/١.

٢٧. المصدر نفسه ١٨/١.
٢٨. ينظر الخصائص ٣٦٠/٢ ومابعدها .

٢٩. ينظر المصدر نفسه ٢٦٩/٣.

٣٠. مغني اللبيب ٣٧٥/٢..
٣١. ينظر : المغني ٣٧٦/٢.

٣٢. ينظر : المصدر نفسه ٣٨٠/٢-٣٨٢.

٣٣. ينظر: المصدر نفسه ٣٨٢/٢-٤١٠.
٣٤. من أسرار اللغة :٢٦٠ ، وينظر : في النحو العربي نقد وتوجيه :٣٣.

مصـــادر البحـــث

- أصول النحو العربي / د. محمد عيد /عالم الكتب – القاهرة -١٩٧٣.
- التطور النحوي / المستشرق برجشترا سر

أخرجه وصححه وعلق عليه :الدكتور رمضان عبد التواب/مكتبة الخانجي– القاهرة .

-الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني تحقيق محمد علي النجار – بيروت – لبنان.

- دراسات نقدية في النحو/ د. عبد الرحمن أيوب /مطبعة مخيمر – القاهرة – ١٩٥٧.
- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث /د. محمد حماسة عبـــد اللطيـــف. كلية دارالعلوم_القاهرة
- الفعل زمانه وأبنيته /د. إبراهيم السامرائي / مؤسسة الرسالة بيروت – ٢ ١٩٨.

-في النحو العربي نقد وتوجيه /د. مهدي المخزومي / صيدا بيروت.

- الكتاب لسيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر / تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون / عالم الكتب – بيروت –ط٥.
- اللغة العربية معناها ومبناها /د. تمام حسان / القاهرة – ١٩٧٣.
- المسائل العسكريات لأبي علي النحوي (الفارسي)

دراسة وتحقيق /د. علي جابر المنصوري / مطبعة الجامعة / بغداد /ط٢-١٩٨٢.

- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لأبي محمد عبد الله بن هشام الأنصاري / تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد.
- من أسرار اللغة /د. إبراهيم أنيس/ مكتبة الا نجلو المصرية – القاهرة ط٣-١٩٦٦.
- منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري/د.قاسم البر يسم/دار الكنوز الأدبية -٢٠٠٠م